

نظرية التلقي وتطبيقاتها في المنظومة التعليمية الجزائرية بين الواقع والمأمول

إشكالية تلقي النص الأدبي القديم لدى متعلمي الطور الثانوي

The theory of reception and its applications in the Algerian educational system between reality and hope

The Problem of Receiving Old Literary Text for Secondary Stage Students

هاجر تقيّة طالبة سنة دكتوراه/ جامعة محمد لمين دباغين_سطينف_2_taguiahadjer@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/12/30

تاريخ القبول: 2019-09-03

تاريخ الاستلام: 2019-08-15

ملخص:

سعت المنظومة التربوية الجزائرية على مدار السنين الماضية إلى محاولة ترقية وتجديد آليات التحصيل العلمي والمعرفي لدى المتعلمين في مختلف الأطوار التعليمية وتقوم لسانهم وفكرهم، وأيضا محاولة ترقية اللغة العربية من خلال اختيار نصوص تعليمية أدبية من التراث وتقسيمها بحسب العصور التي تنتمي إليها، من أجل إثارة رغبة دراسة الأدب لديهم وتربية ذوقهم الأدبي. اتجهت المنظومة التربوية من خلال كتب الجيل الجديد من الإصلاحات التربوية إلى جعل المتعلم في الطور الثانوي إلى متلق يتفاعل مع النص الأدبي، ويدرك مضامينه ويتأثر به، وذلك من أجل إنجاح العملية التعليمية، وفي حدود هذا الطرح تحاول هذه الورقة البحثية مقارنة النص الأدبي التعليمي في كتاب اللغة العربية للسنة الأولى والسنة الثانية ثانوي، في ضوء ما قدمته نظرية التلقي، والإشكاليات التي واجهها المتعلم في تلقي النص الأدبي القديم.

الكلمات المفتاحية: نظرية التلقي. النص الأدبي القديم. المنظومة التربوية الجزائرية. إشكاليات التلقي. التعليمية.

Abstract:

The Algerian educational system has sought over the past years to try to upgrade and renew the mechanisms of scientific and cognitive achievement of learners in various educational phases and evaluate their tongue and thought, as well as trying to upgrade the Arabic language through the selection of literary texts of heritage and divide them according to the ages to which they belong, in order to arouse the desire Studying their literature and educating their literary taste, the educational system through the books of the new generation of educational reforms tended to make the learner in the secondary stage to a recipient to interact with the literary text, and aware of its contents and influenced by it, in order to succeed the educational process, Within this thesis, this research paper attempts to approach the educational literary text in the Arabic language book for the first and second year in the light of what the theory of receptivity has provided for the success of the educational process, and the problems faced by the learner in receiving the old literary text.

Keywords: Receive theory. Ancient literary text. Algerian educational system. Receiving problems. Educational.

Résumé :

Le système éducatif algérien s'est efforcé au cours des dernières années de tenter de mettre à niveau et de renouveler les mécanismes de réalisation scientifique et cognitive chez les apprenants dans les différentes phases éducatives et de redresser leur langue et leurs idées, et aussi de promouvoir la langue arabe en choisissant des textes éducatifs littéraires du

patrimoine et en les divisant selon les âges auxquels ils appartiennent, afin de susciter un désir Étudiez leur littérature et cultivez leur goût littéraire.

Le système éducatif a eu tendance, à travers les livres de la nouvelle génération de réformes éducatives, à faire de l'apprenant au niveau secondaire un destinataire qui interagit avec le texte littéraire, se rend compte de ses implications et est affecté par lui, pour le succès du processus éducatif. La langue arabe pour la première et la deuxième année est secondaire, à la lumière de ce que la théorie de la réception présentait et des problèmes rencontrés par l'apprenant pour recevoir l'ancien texte littéraire.

Mots clés: recevoir la théorie. Ancien texte littéraire. Le système éducatif algérien. Réception de problèmes. Éducatif.

مقدمة: سعت المنظومة التربوية في الجزائر وكغيرها من الدول لمواكبة التطور الحاصل في مجال التربية والتعليم في البلدان الأوروبية، كما سعت لإحداث نقلة نوعية من خلال الإصلاحات التي بادرت بتطبيقها من خلال تغيير المنهاج والتقنيات المعتمدة في تقديم الدروس للمتعلم الجزائري، والاستفادة من النظم التربوية الحديثة وفي هذا المنحى تم اختيار بيداغوجيا "المقاربة بالكفاءات" أو الكفايات باعتبارها عنصرا هاما في أي نظام تعليمي/تعليمي، حيث تسير في اتجاه التغيير والتجدد لما تشتمل عليه من أسس تربوية، وبيداغوجيا نفسية، وقيم نوعية ذات نزعة بنائية/نفعية/تقدمية، تنطلق من مبدأ أن المدرس لا ينبغي له أن يقدم للمتعلم معارف ومعلومات وخبرات جاهزة بل هو من يقوم ببناء معارفه، واستغلال مكتسباته في وضعيات متنوعة مختلفة وهدف هذه الطريقة التربوية الحديثة، هو تفعيل المواد الدراسية في المؤسسة التعليمية والمهنية، وفي الحياة والبيئة المحيطة، هذا التفعيل يؤدي إلى تحويل المعرفة النظرية إلى ممارسة عملية من جهة، وإلى تحقيق المضامين والمحتويات المعرفية من جهة أخرى، والسعي الحثيث لوزارة التربية والتعليم لتغيير طرق تدريس المواد المدرجة في الكتاب المدرسي، وبالأخص تدريس الأدب العربي عامة والنص الأدبي القديم، وذلك للتغيرات التي طرأت على تقنيات دراسته وطرق معالجته، فلم تبق دراسة النص دراسة عقيم لا تقدم جديدا، فلم يبق التركيز ساريا على صاحب النص وبيئته ومجتمعه، فقد انتقل للبحث في النص وتحليل بنيته السطحية والعميقة، فتغيرت الأسئلة التقليدية التي طرحت منذ زمن إلى أسئلة جديدة أكثر عمقا وأكثر تركيزا على ما يحمله النص من دلالات، والتركيز الأكبر على المتلقي (المتعلم)، الذي أصبح يلعب دورا هاما وأساسيا في العملية التعليمية، وهذا التركيز جاء في إطار ما يسمى بنظرية القراءة والتلقي والتي صبت جل اهتمامها على المتلقي لأنه هو العنصر الفاعل والأساسي الذي يساهم في إعادة إنتاج النص.

إن الثورة المعرفية التي مست مجال الدراسات الأدبية والنقدية وتلك النقلة النوعية في التقنيات والآليات المعتمدة في دراسة النص الأدبي أو الخطاب الأدبي، جعلت الدارس يقف على جماليات هذا النص ويكشف دلالاته، ويفهمه ويتذوقه بشكل مختلف عن السابق، فالنص الأدبي القديم كان يحلل بأساليب عقيمة، ينتج عنها ملل المتعلم وإحساسه برتابة ما يدرسه، فظهور دراسات حديثة كالبنوية، السيميائية والأسلوبية، والتفكيكية، أدت إلى إنتاج طرائق وأشكال وإجراءات مختلفة في تحليل وفهم وتذوق النصوص الأدبية_ كما سبق وذكرنا_

مع هذا التطور والانقلاب في مجال دراسة النصوص، نجد أن النظام التعليمي في الجزائر بصفة خاصة، مازال يركن إلى الدراسات والتحليلات التي لا تفيد المتعلم ولا تقدم له أي معرفة جديدة، وهذا ما جعل النظام التعليمي في الجزائر بدل أن يحدث تواصلًا فعالًا بين المتعلم (الطور الثانوي) الجزائري وبين تراثه الأدبي الذي يمثل هويته الأصلية الثقافية والأدبية، قد أحدث قطيعة بين النص وتفاعل المتعلم معه فيصبح هذا الأخير دائم النفور من هذه المادة، فينعدم الفهم والتذوق الجمالي للنصوص الأدبية لديه وعليه: كيف ساهمت المقاربات النصية التي تطرحها نظرية التلقي في تطوير وتنمية كفاءة المتعلم على التفاعل مع النص الأدبي القديم، وما هي الإشكاليات والصعوبات التي طرحتها تعليمية النص الأدبي القديم

في ضوء ما تقدمه نظرية التلقي؟، وهل استطاعت المنظومة التربوية في الجزائر تحقيق مساعيها في جعل المتعلم متلقٍ فاعلا يملأ الفراغات في النص بدل أن يُلقن فيلعب دور المستمع بدل المشارك؟

أولاً_ المشروع الإصلاحي التربوي وتحديات الواقع الجزائري: عاشت الجزائر بعد فترة الاستعمار الفرنسي تحديات كبرى على جميع الأصعدة، وذلك من أجل النهوض والتطور سياسيا واقتصاديا واجتماعيا...، ومواكبة الركب الحضاري وأكبر تحد واجهته هو النهوض بمجال التعليم والتخلص من النظام الفرانكفوني الذي طبع نظام التعليم في الجزائر لسنوات طويلة، أين كانت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في البلاد، وبالأخص في المدارس، فكانت اللغة العربية قليلة الاستعمال، وفي ظل هذا كان العالم المتقدم يعيش مرحلة انتقالية تطورية ممثلة في التطور العلمي والتقني، وقفزة نوعية في مجال الإعلام والاتصال، مما أدى إلى التطور في أساليب وتقنيات التعليم ومناهج البحث، في الوقت الذي لازالت الجزائر تعيش فيه "عبء التراكمات التاريخية للفترة الاستعمارية الفرنسية وتعاني آثارها العميقة المنحوتة في مقومات الشخصية، ولعل حقل التربية والتعليم هو الأكثر تعرضا لانعكاسات الماضي بكل تناقضاته، بين الاستلاب الفرانكفوني والأصالة الوطنية وبين الانتماء العربي والتجذر الأمازيغي..."¹

انطلاقاً من هذا الوضع سعت الدولة الجزائرية إلى تطوير نظامها التعليمي ومواكبة التطور الحاصل، فاتخذت من مشروع الإصلاح² وسيلة لها، للارتقاء بمستواها العلمي والتعليمي، وأول ما قامت به هو جعل اللغة العربية لغة رسمية في المدارس الجزائرية، وغلق الهوة التي كانت بين المتعلم ولغته الأم، ومن ثمة خلق جسر تواصل بين المتعلم الجزائري وتراثه المعرفي والثقافي والأدبي، وذلك بإدراج نصوص أدبية من التراث بمختلف عصوره في الكتاب المدرسي الخاص باللغة العربية وآدابها في الطور الثانوي للسنة الأولى والسنة الثانية، وقد تم انتقاء نصوص معينة لتتم دراستهم، وهذا بغية تقويم لسان المتعلمين وفكرهم، وكمحاوله منهم لترقية اللغة العربية وأيضاً من أجل إثارة رغبة دراسة الأدب لديهم وتهذيب ذوقهم الأدبي، وقد تم تبني مشروع الإصلاح في المنظومة التربوية بعد الصراع الذي شهدته هذه الأخيرة في سنوات ما بعد الاستعمار الفرنسي (أواخر القرن العشرين)، هذا المشروع كان الهدف منه تلقين المتعلم الجزائري كل المعارف والعلوم، ويهدف إلى جعل المعلم هو الطرف الفاعل في العملية التعليمية، ويحذف دور المتعلم، كما أنه يعتمد الطرق التقليدية في تحليل النصوص الأدبية، أين يتحول النص لوعاء من المفردات والألفاظ التي تتطلب الشرح من أجل دعم الرصيد المعجمي للمتعلم، أيضاً تبسيط النص من خلال شرح الأبيات الشعرية بطريقة النثر، أيضاً دراسة الأفكار من حيث السهولة والصعوبة والعمق والسطحية، والتسلسل والتفكك.³ ثم دراسة العاطفة من حيث الصدق وعدمه، مثلها مثل دراسة الأسلوب الذي يتوجه فيه الأستاذ والتلاميذ إلى استخراج الأساليب الإنشائية والخبرية والصور البيانية والمحسنات البديعية "مع دراسة الألفاظ والجمل

والوزن والقافية ليصل الأستاذ بعد كل هذا إلى إبراز الأحكام والقيم المستمدة من النص والمتعلقة بالبيئة أو بصاحب النص⁴

هذه الطريقة في تحليل النص الأدبي والظاهرة الأدبية عموما تظهر غياب الوعي الفعلي بالنص وما يحمله من قيم فنية وجمالية وقيم لغوية، إن وضع النص الأدبي القديم في المنظومة التعليمية لا يجب أن يكون هدفه هو البحث في ظاهر النص "المصطلح/صاحب النص..." إنما يجب البحث في العلاقات المتشابكة والتفاعلات التي تحدث داخل النص، من أجل إعطاء قيمة لهذا الأخير، فالنص الأدبي القديم هو وليد قيم فنية وجمالية تميزها عصر عن عصر آخر⁵، هو مزيج بين أبنية متعددة ومعقدة بحاجة لمُتعلّم متمرس، متعلّم يسمح له بالتفاعل مع النص بشكل يختلف تماما عن الطرق التقليدية، وهذا ما جعل المنظومة التربوية ترتقي بأساليبها وتقنياتها التعليمية، ومحاولة الاستفادة من المناهج والنظريات الحديثة ومن بينها نجد نظرية التلقي.

ثانيا: المقاربات النصية لنظرية التلقي وتنمية كفاءة المتعلم في دراسة النص الأدبي القديم:

يعد النص الأدبي من أهم الحصص التعليمية التي تقدم للمتعلّمين في الطور الثانوي خاصة شعبة الآداب والفلسفة، لما فيه من معارف أهمها المعرفة الأدبية، فالنصوص الأدبية وعاء للتراث الأدبي الجيد قديمه وحديثه، نثره وشعره، ومادته التي عن طريقها يتم إنماء مهارة المتعلمين اللغوية والفكرية والتعبيرية والتذوقية، بحيث تحتوي على مجموعة من الأسس والقيم⁶ والنص الأدبي القديم هو قطع مختارة من التراث الأدبي، يتوفر فيها الجمال وتعرض فكرة متكاملة أو عدة أفكار مترابطة⁷. وتكمن أهمية تدريس النص الأدبي القديم لمتعلمي الطور الثانوي وإدراجه في الكتاب المدرسي، في ربط المتعلم بتراثه الأدبي مما ينمي كفاءته اللغوية، وآفاقه الثقافية والمعرفية، أيضا يثري رصيده اللغوي من حيث: الألفاظ، التراكيب، المعاني، أيضا تهذيب الذوق الفني لديه، أيضا معرفة شعراء كل عصر من عصور الأدب وخصائص كل عصر وكل شاعر، والأغراض التي نظم على منوالها الشعراء في كل عصر.

1. النصوص الأدبية المدرجة ضمن الكتاب المدرسي لسنة أولى وثانية ثانوي: انتقلت وزارة التربية والتعليم النصوص واختارتها وفق معايير معنية وأدرجتها ضمن الكتاب المدرسي وصنفتها بحسب العصر الذي تنتهي إليه، فكانت كالتالي:

أ_العصر الجاهلي: لتعريف التلميذ بهذا العصر وخصائصه الفنية واللغوية تم إدراج ثلاث نصوص شعرية، لثلاث شعراء اختلفت موضوعاتهم فكان النص الأول بعنوان "في الإشادة بالصلح والسلام والتحذير من ويلات الحرب" لزهير بابن أبي سلمي، أما النص الثاني كان بعنوان "الفروسية" لعنترة بن شداد، والنص الثالث بعنوان "وصف البرق والرعد" لعبيد بن الأبرص⁸.

ب_عصر صدر الإسلام: اختيرت لهذا العصر أربعة نصوص، أولها بعنوان "تقوى الله والإحسان إلى الآخرين" لعبد بن الطيب، أما الثانية بعنوان "من شعر النضال والصراع" لكعب بن مالك، أما الثالثة "فتح مكة" لحسان بن ثابت، أما الأخيرة فأتت بعنوان "من تأثير الإسلام في الشعر" للناطقة الجعدي.⁹

ج_العصر الأموي:

اختيرت له ثلاث نصوص، أولها بعنوان "في مدح الهاشميين" للكميت بن زيد، أما الثاني بعنوان "من الغزل العفيف" لجميل بن معمر، أما الثالث فكان "من مظاهر التجديد في الشعر الأموي" للأخطل.¹⁰

د_العصر العباسي الأول والثاني:

اختيرت له ستة نصوص، أولها بعنوان "تهديد ونصح" لبشار بن برد، "وصف النخل" لأبي نواس، "أدهرا تولى" لمسلم بن الوليد، "للموت ما تلدون" لأبي العتاهية، "من حكم المتنبي" للمتنبي، ونص آخر له بعنوان "أفاضل الناس أعراض".¹¹

هـ_الأدب الأندلسي والمغربي:

اختيرت له خمسة نصوص، أولها بعنوان "في هجاء عمران بن حطان" لبكر بن حماد، "استرجعت تلمسان" لأبي حمو موسى الزباني، "وصف الجبل" لابن خفاجة، "نكبة الأندلس" لابن البقاء الرندي، "هل درى ظبي الحمى" لابن سهل.¹²

2_المقاربة النصية في ظل الكفاءة التعليمية:

المقاربة النصية:

في هذا المستوى من الدراسة، يرتقي المنهج بالمتعلم إلى التحكم، في إنتاج النصوص بمختلف أنواعها حسب خصائصها البنائية والمعجمية، ولا يتأتى ذلك إلا إذا تحكّم الأستاذ بدوره في بناء استراتيجيات تعليمية لتدريس نشاط النصوص، على المستويين القرائي والكتابي معا. وعليه، فإن هذه الوثيقة توقف الأستاذ على أنماط النصوص وخصائصها: لأن معرفته بأنواع النصوص والوقوف على خصائصها وطرائق انتظامها واشتغالها، من شأنه أن يمكنه من وضع استراتيجيات معينة لتدريس النصوص حسب طبيعة كل نوع.¹³

ولعل أهم ما يتوجب على الأستاذ العناية به - في سياق تدريسه للنصوص - هو التأكيد على التحليل وتمارين المتعلمين على الإنتاج، إذ أن هذين النشاطين الهامين يمثلان جوهر الفعل التربوي في درس النصوص الأدبية.

ولاشك في أن الأستاذ قد أدرك - من خلال الحديث عن المقاربة النصية في الوثائق المرافقة السابقة - أن أهمية التركيز على النص قد ظهرت من حيث هي دعامة بيداغوجية لتكوين المتعلم، وذلك بعد فشل الطرائق التي اتخذت من الجملة مرتكزا لها، حيث إن الفعل التربوي لا يجب أن يقتصر على أن يفهم

المتعلم جملا فقط ، بل يجب أن يتعلم أيضا على أي نحو تنظم المعلومات في نص أطول ، في مقالة صحافية - مثلا - كيف يلخص نصوصا تلخيصا سليما وصحيحا، وأخيرا كيف تتربط الأبنية النصية مع الوظائف الفكرية والعملية للنصوص .

و معنى هذا الكلام، أنه لا يكفي أن يوجه الأستاذ المتعلم إلى إنتاج نصوص متماسكة و سليمة في بنيتها ولكن يتعين عليه أيضا أن يكسبه قدرة تمكنه من جعل النصوص المنتجة مطابقة للسياق الذي أنتجت فيه.

***المقاربة بالكفاءات:** بحكم منطوق المقاربة بالكفاءات في عالم التربية، فإن دور المدرسة قد تحول من مهمة تكوين الفرد - خزان المعارف - إلى الفرد المتفاعل مع المعارف. فرد يمتلك كفاءات تساعده على الإنتاج، لأنه لم يعد يكتفي بالاستهلاك بل يتعداه إلى الإبداع و التطوير والتجديد، وعلى هذا الأساس تسعى هذه المقاربة إلى توعية الأستاذ بضرورة تبني التدريس القائم على طرائق تساعد المتعلمين على الخروج من الركود والجمود والإقبال على التفاعل والإنتاج والابتكار.

لقد حاولت المنظومة التربوية على مدار العشر سنوات الماضية تطوير طرق التدريس باعتماد منهاج جديد مؤسس وفق الدراسات الحديثة على المستوى الأدبي والنقدي وعلى المستوى التعليمي التربوي، هذا المنهاج يخرج المتعلم في الطور الثانوي من دور المستقبل المستهلك الذي يلحق كل العلوم والمعارف، إلى متعلم فاعل في العملية التعليمية، بحيث هو الذي يسير الدرس، أما المعلم بعد أن كان هو الفاعل في العملية التعليمية صار موجها للمتعلمين يحدد لهم الكفاءة التي يعملون عليها ويوجههم لكيفية تحليل النص الأدبي بإعطائهم الطريقة المثلى التي يعتمدون عليها، هذه الطريقة حددتها وزارة التربية بالاعتماد على أساتذة متمكنين في مجالهم وتم تحديد المراحل التي يجب أن يمر عليها الأستاذ والمتعلم في تحليل النصوص الأدبية، والملاحظ أن مفهومهم للنص الأدبي خرج من المفهوم الضيق إلى المفهوم الذي تقترحه نظرية القراءة والتلقي فلم يبق النص الأدبي بالنسبة لهم يحتمل قراءة واحدة "عقيم" وإنما هو نص مفتوح على قراءات متعددة لأنه لا نهائي الدلالة، والقراءة السابقة له كانت لا تغنيه ولا تثرى فيه وإنما تغلق عليه في سياق ممل رتيب، لا يحمل أبعادا جمالية فنية، وتعدد القراءات للنص الأدبي من قبل المتعلمين هنا قائم على قراءة كل واحد منهم لهذا النص فكل يفهمه ويحلله بحسب المعطيات التي قدمها الأستاذ وفي أثناء الحصة يبدأ في الشرح وتحليل النص فيجد المتعلمون اختلافا بين قراءاتهم وقراءته ، ومن هنا يُنتج نص جديد متعدد الدلالات، والذي أنتجه المتعلم وفقا للمقاربة النصية، وما يتطلبه هذا النظام من الأستاذ هو قبول قراءات المتعلمين وتجنب التعليقات السلبية، وذلك من أجل ضمان بقاء تفاعلهم معه ومع النص، مع تصحيح وتدخل منه ليضمن مصداقية القراءة، وهذا بعد أن يصوغ المتعلم فرضياته ودلالاته الخاصة بالنص، والجدير بالذكر أنه كلما تمرن على هذه المقاربة كلما استطاع اكتشاف مداخل جديدة للنص، وكلما انفتح ذهنه على دلالات جديدة

وطرق تمكنه من ملء فراغات الكاتب وقراءة ما بين السطور، وهذا كله بتوجيه من الأستاذ الذي يضع النص ضمن سياقه الخارجي "التاريخي، البيئي، الثقافي" بحيث يوضح للمتعلمين العصر الذي ينتمي إليه النص وصاحبه، أيضا محاولة إكسابهم ثقافة نقدية من خلال تزويدهم ببعض المعارف والأساليب، وقد ورد في مقدمة الكتاب المدرسي "يدرس النص الأدبي من منطلق كونه نصا احتماليا، متعددا، مفتوحا على قراءات متنوعة تسهم في إغنائه وإثرائه، وبذلك يصل الأستاذ بالمتعلم إلى تثمين ملكته النقدية وتدريبه على الدراسة والتحليل للآثار الفكرية الأدبية..."¹⁴ وقد حددت طريقة لتحليل النص الأدبي وفق منهج المقاربة بالكفاءات، بالاعتماد على خبراء في هذه المقاربة، ويرى هؤلاء أن كل طريقة تجعل المتعلم يظهر كفاءته بالفعل والإنجاز، هي طريقة صالحة من منظور التدريس بالكفاءات، ويقترحون مايلي¹⁵:

1_ تكليف المتعلم بإعداد الدرس وتحليله وتحديد المصطلحات الصعبة وشرحها، ويتكفل الأستاذ فيما بعد في شرحها بذكر المعنى والمعاني للكلمة واشتقاقها حسب المعجم ثم التعرض إلى ما توحى به من دلالات انطلاقا من السياق الذي وظفت به.

2_ تقديم صاحب النص: تقديم موجز لشاعر وتحديد العصر الذي ينتمي إليه وذكر خصائصه...

3_ تقديم موضوع النص: يطرح الأستاذ فيه العديد من الأسئلة على المتعلمين والتي تسمح لهم بفهم النص واكتشافه من الناحية الفنية، والفكرية...

4_ مناقشة معطيات النص: في هذه المرحلة وبعد فهم النص يوجه الأستاذ نظر المتعلم للمناقشة النص مناقشة تذوقية يعتمد فيها التلميذ طريقة نقدية إبداعية، وقراءة فاعلة تعين الظاهرة الأدبية وتقيم مختلف أبعادها الفكرية والفنية في ضوء الرصيد القبلي للمتعلم، ويتيح له الفرصة ليتناول ويتوغل باقتراحاته في طرح أكبر قدر ممكن من البدائل والمعاني المختزنة في النص، كونه نصا احتماليا مفتوحا على قراءات ودلالات مختلفة.

5_ تحديد بناء النص: في هذه المرحلة يتم تحديد نمط النص واكتشاف خصائصه ثم تدريب المتعلم مشافهة وكتابة على إنتاج نصوص وفق النمط المدروس.¹⁶

إن استفادة المنظومة التربوية الجزائرية من مقولات نظرية التلقي التي اهتمت بالذات المتلقية وأدخلتها في فضاء التحليل، وأعدت إليها اعتبارها كأحد أبرز عناصر الإرسال والتواصل الأدبي وأهمها، بعد أن آمنت بأن الظاهرة الأدبية ليست إلا علاقة جدلية بين النص والقارئ¹⁷ وأن النص لا قيمة له ما دام حروفا على الورق، حتى يعطيه القارئ الحياة من خلال تفاعله معه. فانطلقت منطلقا جديدا يجعل عملية الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه ليصبح الفهم هو عملية بناء المعنى وإنتاجه وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه وبذلك يعدّ المحمول اللساني مؤثرا واحدا من مؤثرات الفهم لا بد من تغذيته بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم من لدن المتلقي¹⁸، جعلت من

المتعلم قارئاً لا يكتف بالقراءة السلبية التي تعتمد على التلقين وتراكم المعارف دون الاستفادة منها وإنما تجعل منه قارئاً لما بين السطور يتجاوز ما هو مكتوب إلى دلالات أعمق تنقله إلى خفايا النص، وتسمح له بإنتاج نص جديد.

ثالثاً_ إشكاليات تلقي النص الأدبي للمتعلم في الطور الثاني:

على الرغم من المزايا المتعددة لاعتماد المقاربات النصية لنظرية التلقي في دراسة النص الأدبي القديم، نجد أن المتعلم في الطور الثاني يعاني صعوبات عديدة، على مستويات عدة "الممارسة، الفهم، والقراءة" وعليه:

1_ تقوم المقاربة النصية على التحضير المسبق للدرس من قبل المتعلمين، من خلال محاولة قراءة النص وكشف مغاليقه، وهنا تكمن الإشكالية وذلك لعدم وجود خلفية معرفية سابقة لمتعلمي حول النص الأدبي الذي سيقروونه، فأغلبهم يفتقرون لثقافة موسوعية حول العصور الأدبية وحول الشعراء القدامى.

2_ يعد تقديم صاحب النص أول معلومة تقدم للمتعلم على النص الذي هو بصدد تحليله، بحيث يتم تعريفه في 3 أسطر أو أقل وتكون هذه المعلومات مختصرة لا تقدم الكثير للمتعلم ولا تغني شيئاً فيما يتعلق بالنص وتأويله وتحليله، ولا تصلح لتكون قاعدة يبني عليها معارفه فيما يخص النص، فهذه التعاريف كلها لا تخرج عن ذكر النسب وتاريخ الميلاد والوفاة، وعلاقة صاحب النص بمجتمعه وبيئته، دون إشارة إلى ما يربط سيرته بنصه الإبداعي المعروض للدراسة، والقراءة والتفسير، وتعليل الظواهر الأدبية الواردة في إبداعه ذلك، ومثال ذلك تقديمهم لبشار ابن برد بقولهم: "هو أبو معاذ بشار بن برد أشهر مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، من أصل فارسي، ولد أعمى لأبوين فقيرين سنة 95 هـ، خالط الأعراب فأصبح نابغة عصره فصاحة وشعرا، قال الشعر وهو صغير وأول ما قاله الهجا مدفوعاً إليه بعدة عوامل، اتصل بالعديد من الخلفاء العباسيين يمدحهم تارة ويهجوهم تارة أخرى وله ديوان شعري يضم أغراضاً مختلفة توفي سنة 167 هـ".¹⁹

3_ يجد معظم المتعلمين صعوبة في فهم مصطلحات النصوص المختارة، فهي غامضة تحتاج لمعجم لشرحها، ومتخصص في اللغة، فكان يفترض بمن وضع هذه النصوص والوضع في الحسبان أن متعلماً في الطور الثاني لا يملك رصيذاً لغوياً مصطلحياً يمكنه من شرح مصطلحات من القاموس الجاهلي، ومثال ذلك نص لعبيد ابن الأبرص "وصف البرق والمطر" فأبيات هذا النص غريبة في لغتها وألفاظها ويعسر فهمها حتى على المتخصص.

4_ بعد شرح النص وتحليله يجد المتعلم صعوبة في الربط بين العنوان ومضمون النص، وذلك لوجود اختلاف بينهما ومثال ذلك، النص الجاهلي لعنتر بن شداد، والذي عنون بـ"الفروسية" والذي لا يعبر بشكل دقيق عن مضمون الأبيات، لأن المضمون يتكلم عن فروسية عنتر وشجاعته وتحية لمن ينعتة بالعبد الأسود الذي لا يصلح لأن يكون فارساً وإنما يبقى مجرد راع وخادم.

أيضا قصيدة للأخطل عنونت بـ"من مظاهر التجديد في الشعر الأموي" فالعنوان لا يتطابق ومضمون النص، فالشاعر يمدح بني أمية ويندود عن ملكهم، فأجزلوا له العطاء وفتحوا له قصر الخلافة، وهذا العنوان يصلح لنص أو مقال يتكلم عن العصر الأموي.

5_ اللغة الأدبية لغة غامضة بسبب الظواهر الأسلوبية المستخدمة والتي هي عسيرة على قارئ مبتدئ غير عارف لهذه الظواهر وضليع بها، إذ أن أغلب المتعلمين يصعب عليهم فهم ما يرومه كاتب النص من استخدام ظاهرة من الظواهر، وفي بعض الأحيان لا يستطيع الكشف عنها وتحديد نوعها، نظرا لمحدودية ثقافته وخبرته في المقاربة النصية.

6_ القصيدة العربية القديمة تفتقر إلى الوحدة العضوية والموضوعية، مما يجعل أفكارها مبعثرة، فكل بيت فيها يستقل عن الآخر بفكرته وموضوعه وغرضه الشعري، وهذا ما يجعل قراءتها وفهمها من قبل المتعلم في الطور الثانوي أمر صعب، فالتلميذ يجد نفسه أمام إشكاليتين أولهما هو فهم الأفكار التي يرومها الشاعر وربطها ببعض حتى تتضح الصورة أمامه، أما ثانيهما هو تحديد الغرض الشعري الذي ينتهي إليه كل بيت وذلك لأن التلميذ في السنة أولى ثانوي يكون حديث المعرفة بالأغراض ولا يستطيع تحديدها بشكل صحيح.

خاتمة: حققت المنظومة التربوية في الجزائر قفزة نوعية في المناهج المعتمدة في التدريس من عهد الاستقلال إلى ما بعده، إلا أنها لا تزال متخلفة بأجيال كثيرة عن التطورات الحاصلة في المنظومات التربوية للدول الأجنبية التي صارت تعتمد مناهج تدريس تخدم العملية التعليمية وتفعلها من كل الجوانب.²⁰

على الرغم من أن المنظومة التربوية الجزائرية غيرت في مناهج تدريسها من المشروع الإصلاحية إلى اعتماد المقاربة بالكفاءات إلا أنها لم تحقق الكثير، فقد واجهت إشكاليات من ناحية المعلم والمتعلم، فأغلب الأساتذة وجدوا أنفسهم أمام مناهج جديد لا علم لهم به من قبل ولم يدرسوا عنه، وعدم معرفتهم بأسس المقاربة بالكفاءات وكيفية تطبيقها ومن ثم التدريس بها، وهذا ما يخلق إشكاليات في عدم قدرة العديد من الأساتذة توصيل الفكرة وبناء الدرس.

المتعلم الجزائري بعد أن كان يلحق كل المعارف والعلوم وكان يأخذ المعلومة جاهزة دون عناء أو تعب وجد نفسه في ظل المقاربة النصية هو الطرف الأساسي في العملية التعليمية والأستاذ مجرد موجه ومسير للدرس، أما هو فأصبح يقوم بالدور الأكبر في تقديم الدرس وتقديم قراءات للنصوص الأدبية المدرجة ضمن الكتاب المدرسي.

إن الاعتماد على مبادئ نظرية التلقي في مجال التعليمية نتج عنه العديد من الإشكاليات بالنسبة لمتعلمي الطور الثانوي وهذا يستوجب من وزارة التربية الوطنية أخذه بعين الاعتبار من أجل تحقيق التفاعل الحقيقي بين المتعلمين والنصوص الأدبية أيضا يحقق نتائج على المستوى المعرفي والتعليمي.

الهوامش والاحالات:

- 1_ صبحة بغورة. التعليم في الجزائر تراكمات الماضي وصراعات الحاضر. مجلة المعرفة. تم إضافته يوم الأحد 2006/12/6. ص 11:04 صباحا
- 2_ سعت الجزائر بعد الاستقلال أي سنة 1962، للتخلص من يران الاستعمار الفرنسي فمنحت الاهتمام الأكبر لمنظومتها التعليمية التي خضعت لأيدولوجية استعمارية تقضي بدحض كل مقومات المجتمع الجزائري الإسلامي، وانطلاقا من هنا بدأت سلسلة التعديلات التي تقضي بتغيير شامل في نظام التربية والتعليم وفتح آفاق جديدة وهذه التعديلات اقترحت العام 1976 لكنها بقيت حبرا على ورق ولم يتم تطبيقها فعليا حتى سنة 1980، واستمرت سلسلة التعديلات لغاية 1988 تبعا للتطورات الحاصلة في المجتمع الجزائري آنذاك، ليختتم عهد الإصلاحات بقرار من عبد العزيز بوتفليقة سنة 2000 والقاضي بتأسيس لجنة وطنية لإصلاح المنظومة التربوية.
- 3_ صالح مفقود. تعليمية النص الأدبي في مرحلة التعليم الثانوي. مجلة الميزر. عدد خاص بالملتقى الوطني حول تعليمات العلوم الإنسانية. الجزائر. 24/23/22 ماي 2000. ص 37
- 4_ المختار في الأدب والقراءة. السنة الثالثة ثانوي. المعهد التربوي الوطني. الجزائر. 1990/1989
- 5_ إن القيم الفنية التي قام عليها الشعر الجاهلي تختلف عن القيم الفنية في عصر صدر الإسلام ففي هذا العصر هُذب الشعر وألغيت العديد من الأغراض والعديد من المواضيع لأنها تتنافى وقيم الإسلام، ثم يأتي بعدها العصر الأموي أين تغيرت المضامين وبتالي تغير في القيم الفنية والجمالية فقد ظهرت أنواع جديدة من الشعر تظهر تفرد الشاعر العربي وتميزه في اللعب على أوتار اللغة وأساليب النظم، بعدها يأتي العصر العباسي الأول أين تطور الشعر وقامت ثورة وحملة تجديد للقصيدة العربية وعمودها فاستبدلت المضامين القديمة بمضامين جديدة وظهرت أغراض غير الأغراض المتعارف عليها نتيجة احتكاك العرب بغيرهم...
- 6_ عبد السلام المسدي. قضية البنيوية. دراسة نماذج. دار الجنوب. تونس. 1955. ص 51
- 7_ بوسقطة. شعرية النص بين جدية المبدع والمتلقي. مجلة التواصل. جامعة عنابة. جوان 2001. ص 216
- 8_ المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة. السنة أولى من التعليم الثانوي. جذع مشترك آداب الصادر عن وزارة التربية الوطنية. 2007. ص 16/15، 38/37، 60/59
- 9_ المرجع نفسه. ص 91/90، 100/99، 122/121، 129/128.
- 10_ المرجع نفسه. ص 151/150، 166/165، 189/188
- 11_ الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة. سنة ثانية ثانوي شعبي الأدب والفلسفة واللغات الأجنبية. الصادر عن وزارة التربية الوطنية. 2018/2017. ص 133/111/69 /50/32/11
- 12_ المرجع نفسه. ص 231/213/192/151
- 13_ الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي. شعبي أدب وفلسفة واللغات الأجنبية. اللجنة الوطنية للمناهج. الصادرة عن وزارة التربية الوطنية. ماي 2006. ص 2
- 14_ المرجع نفسه. ص 2
- 15_ الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة. سنة ثانية ثانوي شعبي الأدب والفلسفة واللغات الأجنبية. الصادر عن وزارة التربية الوطنية. 2018/2017. ص 4
- 16_ ينظر: المرجع نفسه. ص 5/4
- 17_ Riffaterre, Michael, semiotics of poetry (Indiana University press Methuen 1978, p1
- 18_ بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات. ط1. المركز الثقافي العربي. المغرب. 2001. ص 43
- 19_ الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة. السنة ثانية من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي. ص 11

قائمة المصادر والمراجع:

أولا_المصادر:

1. المشوق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة. السنة أولى من التعليم الثانوي. جذع مشترك آداب الصادر عن وزارة التربية الوطنية. 2007.
2. الجديد في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة. سنة ثانية ثانوي شعبي الأدب والفلسفة واللغات الأجنبية. الصادر عن وزارة التربية الوطنية. 2018/2017.
3. المختار في الأدب والقراءة. السنة الثالثة ثانوي. الجزائر. المعهد التربوي الوطني 1990/1989

ثانيا_المراجع:

4. بشرى موسى صالح ، نظرية التلقي أصول وتطبيقات. المغرب ط1. المركز الثقافي العربي. 2001.
5. بوسقطة. شعرية النص بين جدية المبدع والمتلقي. مجلة التواصل. جامعة عنابة. جوان 2001.
6. الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام و التكنولوجي. شعبي أدب وفلسفة واللغات الأجنبية. اللجنة الوطنية للمناهج. الصادرة عن وزارة التربية الوطنية. ماي 2006.
7. صالح مفقود. تعليمية النص الأدبي في مرحلة التعليم الثانوي. مجلة الميزر. عدد خاص بالملتقى الوطني حول تعليميات العلوم الإنسانية. الجزائر. 24/23/22 ماي 2000.
8. صبحة بغورة. التعليم في الجزائر تراكمات الماضي وصراعات الحاضر. مجلة المعرفة. تم إضافته يوم الأحد 2006/12/6. سا 11:04 صباحا
9. عبد السلام المسدي. قضية البنيوية. تونس. دراسة نماذج. دار الجنوب. 1955

المراجع الأجنبية:

10. Riffaterre, Michael, semiotics of poetry(Indiana University press Methuen 1978